This article has been scanned by iThenticat No plagiarism detected

Volume 3, Issue 1, February 2021
p. 28-35

THE STORY OF TALOOT AND ITS ARAB EDUCATIONAL IMPLICATIONS ON CONTEMPORARY REALITY

<http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.1-3.3>

Ismael Mukhlif KHUDHAIR¹ & Zainab Beden IBRAHIM²

Abstract:

Our research focuses on the educational and social implications deduced from Taloot's story and the download of these effects on contemporary reality. Taloot's story is full of lessons and lessons. It includes lessons in individual and group education, lessons in assertiveness and exams, lessons in jihad and fighting battles, and trust in God, and not fear and cowardice from the strength of enemies. And it has lessons in choosing rulers and officials and many other lessons.

And it contains a lot of educational, social and universal Sunnah implications, which we will discuss in the research, God willing.

Key words: The Story of Taloot; Educational Implications; Social Implications.

Received :
02/01/2021

Accepted:
15/01/2021

Published:
01/02/2021

¹ Dr. , The Iraqia University, Iraq, Dr.ismael2022@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0002-7381-0309>

² Dr. , The Iraqia University, Iraq

قصة طالوت وآثارها التربوية والاجتماعية على الواقع المعاصر

إسماعيل مخلف خضير³

زينب بدن إبراهيم⁴

الملخص

يركّز بحثنا على الآثار التربوية والاجتماعية المستنبطة من قصة طالوت وتنزيل هذه الآثار على الواقع المعاصر، فقصة طالوت مليئة بالدروس والعبر ففيها دروس في التربية الفردية والجماعية، ودروس في الحزم والامتحان ودروس في الجهاد وخوض المعارك، والتوكل على الله، وعدم الخوف والجبن من قوة الأعداء، وفيها دروس في اختيار الحكام والمسؤولين وغيرها من الدروس الكثيرة. وفيها الكثير من الآثار التربوية والاجتماعية والسنن الكونية سنتناولها في البحث بأذن الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: قصة طالوت، الآثار التربوية، الآثار الاجتماعية.

المقدمة:

علوم القرآن من أشرف العلوم قدراً، وأعظمها منزلة لتعلقها بحبل الله المتين، فهي أحق ما يشتغل به الباحثون ويتسابق إليه المتسابقون، فحق للعمر أن ينقضي فيها.

والقصص القرآني من أبرز أنواع علوم القرآن، فلا يزال القصص القرآني نهراً متدفقاً وبحراً فياضاً بالعبر والعظات التي نتنسم شذاها، ونترسم خطاها، ونقتبس ضياءها، ونقتدي بهداها، عظة وعبرة، وهداية ورحمة، وحجج ساطعات، وآيات بينات، تنطق بصديق هذا الكتاب المبين المنزل من عند رب العالمين على قلب رسوله الأمين، قال تعالى: {لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ}

وقد أقبل علماء المسلمين على القصص القرآني دارسين وباحثين ومتدبرين محلّلين، سواء كانوا من المفسرين أم من المؤرخين ومن غيرهم من العلماء والمؤلفين، فما من مؤرخ من المسلمين إلا وقد وقف أمام قصص القرآن أثناء حديثه من فقد وقع اختيارنا على موضوع (قصة طالوت وآثارها التربوية والاجتماعية على الواقع المعاصر)؛ لما فيها من الدروس والعبر الكثيرة.

ويركّز بحثنا على الآثار التربوية والاجتماعية المستنبطة من قصة طالوت وتنزيل هذه الآثار على الواقع المعاصر، فقصة طالوت مليئة بالدروس والعبر ففيها دروس في التربية الفردية والجماعية، ودروس في الحزم والامتحان ودروس في الجهاد وخوض المعارك، والتوكل على الله، وعدم الخوف والجبن من قوة الأعداء، وفيها دروس في اختيار الحكام والمسؤولين وغيرها من الدروس الكثيرة.

وفيها الكثير من الآثار التربوية والاجتماعية والسنن الكونية سنتناولها في البحث بأذن الله تعالى وكانت خطة البحث مكونة من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

- التمهيد
- المبحث الأول: طالوت الملك.
- المبحث الثاني: الآثار التربوية في قصة طالوت.
- المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية في قصة طالوت.
- الخاتمة وفيها أهم النتائج.

³ د.، الجامعة العراقية، العراق، Dr.ismael2022@gmail.com

⁴ د.، الجامعة العراقية، العراق

التمهيد

بعد أن أتم يوشع بن نون ما بدأه موسى - عليه السلام - من تربية بني إسرائيل وإعدادهم لدخول الأرض المقدسة، دخل الأرض المقدسة مع أتباعه المجاهدين، ولم يفتح كل الأرض المقدسة وإنما افتتح بعض المدن والقرى في الأرض المقدسة وأقام هو وجنوده في الأراضي التي افتتحوها.

وتوفي يوشع بن نون بعد ذلك وتولى قيادة بني إسرائيل آخرون، لكنهم لم يكونوا جادين في الالتزام بشرع الله، وإنما كانت تغلب عليهم طبيعتهم القائمة على التفلت والتمرد والمخالفة والعصيان وقد أخبرنا الله تعالى عن بعض مخالفتهم قال تعالى (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۖ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ 5(٥).

ففي الآية يبين سبحانه أنهم بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم وعصوا أمر الله وحرّفوه فهم لم يقولوا ((حطه)) اي: حُط: التي تعني حُط عَنَّا خطايانا، بل قالوا حنطة او حبة في شعره استهزاءً، وبذلك استحقوا العذاب وعذبهم بالطاعون. لذا روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله لبني إسرائيل (ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة) فدخلوا يزحفون على استقامهم فبدلوا وقالوا حنطة حبة في شعره(6). وهكذا كانت إقامتهم في الأرض المقدسة تقوم على المخالفة والمعصية وكانوا يفسقون ويظلمون ونسوا فضل الله عليهم، وبسبب معاصيهم كان الله يعاقبهم بأنواع العقاب.

المبحث الأول: طالوت ملك بني إسرائيل

المطلب الأول: بني إسرائيل قبل طالوت

بعدما أقام بنو إسرائيل في أجزاء من فلسطين فترة من الزمن وكان أعداؤهم يقيمون في أجزاء أخرى من فلسطين كانت تحدث بينهم وبين أعدائهم حروب ومعارك يكون النصر فيها في كل مرة لطرف من الأطراف.

وبسبب بعد بني إسرائيل عن شرع الله ووقوعهم في المعاصي والمنكرات أوقع الله بهم عذابه ونقمته. وحدثت معركة قوية وحرب شديدة بين بني إسرائيل وبين أعدائهم المجاورين لهم، انتصر فيها أعداؤهم ودلوا بني إسرائيل وأخذوا منهم التابوت المقدس الذي كانوا يحتفظون به، وشعر بنو إسرائيل بالخطر وأرادوا التغيير وبحثوا عن مخرج وطلبوا من نبيهم الحل فأخبرهم أن الحل في توحيدهم تحت حكم ملك، وأن الملك الذي رضىه الله لهم هو طالوت، وتملك عليهم طالوت وقادهم الى النصر، وكان حكمه مقدمة وتمهيداً لملك داود - عليه السلام - (7).

وقد ذكر الله تعالى قصة طالوت في القرآن الكريم قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اإِهْبِثْ لَنَا مَلَكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا ۖ فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا ۖ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۖ قَالَ إِنْ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَن يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بَنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ غَلْبَتَ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۖ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ 8(8).

(٥) سورة البقرة آية 58-59.

(٦) صحيح البخاري 1627/4 باب قوله تعالى ((وَإِذَا قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ...)).

(٧) ينظر: روح المعاني، للالوسي/2/768.

(٨) سورة البقرة: 246-252.

وقعت هذه القصة بعد وفاة موسى - عليه السلام - وكانت أحداثها في الأرض المقدسة فبعدما انهزم بنو إسرائيل أمام أعدائهم بقيادة جالوت وسلبوهم أموالهم وديارهم وأخذوا التابوت المقدس 9(9)، الذي ورثوه عن موسى وهارون - عليهما السلام - شعر بنو إسرائيل بمرارة الذل والهوان وأرادوا تغيير واقعهم واسترجاع التابوت. فتوجه قادتهم من الملأ إلى نبيهم وطلبوا منه الحل، وأخبرهم نبيهم أن الحل هو أن يتوحدوا تحت قيادة ملك منهم، وطلبوا من نبيهم أن يختار لهم هذا الملك وهم يعلمون أن الله سيختار له هذا الملك. وحذرهم نبيهم من عدم القتال ونقض العهد. قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ).

أي: ألم تر قصة الملأ أو حديثهم حين قالوا أقم لنا أميراً نقاتل في سبيل الله. فقال لهم نبيهم هل قاربتم أن لا تقاتلوا كما أتوقعه منكم، فقالوا ما الداعي لنا إلى أن لا نقاتل وترك القتال، والغرض من الإخبار بأنهم يقاتلون لا محالة إذ قد عرض لهم ما يوجب المقاتلة إيجاباً قوياً وهو الإخراج عن الأوطان والاعتراب من الأهل والأولاد، فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي وبعث الملك أعرضوا وضيعوا أمر الله تعالى بعد مشاهدة كثرة العدو إلا قليلاً منهم وهم الذين جاوزوا النهر وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر على ما أخرجه البخاري 10(10)، والله عليم بالظالمين الذين ظلموا بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافت أقوالهم وأفعالهم 11(11).

المطلب الثاني: طالوت الملك

بعدما طلبوا من نبيهم أن يختار لهم ملك خرجوا من عنده بانتظار اختيار الملك وكانوا يطمعون أن يكون الملك واحداً منهم.

وأوحى الله إلى نبيهم بأنه اختار طالوت ملكاً، وطالوت هذا رجل من عامتهم وليس من الملأ وليس من الأغنياء ولكن الله سبحانه وتعالى زاده بسطة في العلم والجسم. قال تعالى (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٢٤٧).

أي: قال بعد أن أوحى لهم ما أوحى إن الله بعث لكم طالوت ملكاً يدير أمركم وتصدرون عن رأيه في القتال، فقالوا من أين يكون أو كيف يكون له ذلك؟ أي أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال. فقال لهم الملك ورد عليهم بأبلغ وجه وأكمله كأنه قيل لا تستبعدوا تملكه لفقره وانحطاط نسبه عنكم أما أولاً: فلأن ملاك الأمر هو اصطفاء الله تعالى وقد اصطفاه وأختاره وهو سبحانه أعلم بالمصالح منكم، وأما ثانياً: فلأن العمدية وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية، وجسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب وأقوى على كفاح الأعداء ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم، وقد خصه الله بحظ وافر منهما، وأما ثالثاً: فلأنه تعالى مالك الملك على الإطلاق وللمالك أن يمكن من شاء من التصرف في ملكه بإذنه. وأما رابعاً: فلأنه سبحانه واسع الفضل يوسع على الفقير فيغنيه، وفي تقديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم إيماء إلى أن الفضائل النفسانية أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانية 12(12).

وبعدما وضح لهم نبيهم مؤهلات طالوت ليكون ملكاً، أراد أن يقدم لهم دليلاً على صدق هذا الاختيار وأن الله هو الذي اختاره قال تعالى (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) (٢٤٨).

أي: أنهم قالوا ما آية ملكه واصطفائه علينا فقال لهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة وطمأنينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك إشارة إلى ما ذكر من إتيان التابوت آية عظيمة لكم دالة على جعل طالوت ملكاً عليكم إن كنتم مصدقين بتمليككم أو بشيء من الآيات 13(13).

وعندما شاهد بنو إسرائيل التابوت عادت لهم بالسكينة والطمأنينة، وعلموا أن الله هو الذي اختار طالوت ملكاً عليهم فرفضوا به وهم كارهون.

(9) قال الزمخشري: ((التابوت هو صندوق التوراة الذي كان موسى (عليه السلام) إذ قاتل قدمه امامه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون))، الكشف، 321/1.

وقال البقاعي: التابوت والله أعلم الصندوق الذي وضع فيه اللوحان اللذان كتب فيهما العشر آيات ويسمى (تابوت الشهادة)، نظم الدرر، 474/1.

(10) أخرجه البخاري في صحيحه 1457/4، باب عدة أصحاب بدر، ونص الرواية: عن البراء بن عازب قال: كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاثمائة وبضعة عشر بعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه، وما جاوز معه إلا مؤمن.

(11) ينظر: روح المعاني 768/2-769، في ظلال القرآن، 248/1.

(12) ينظر: روح المعاني 770/2-771، فتح القدير، للشوكاني: 400/1.

(13) ينظر: روح المعاني، 772/2-773.

وتملك طالوت عليهم وصار أول ملك فيهم، وعمل على توحيد القبائل وأنشأ مملكته وحكم فيهم بشرع الله، وقام بإعدادهم للجهاد في سبيل الله، ولما انتهى من التعبئة والإعداد توجه بهم إلى العدو. قال تعالى (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) .

أي: انفصل عن بيت المقدس مصاحباً لهم لقتال العمالقة، قال: إن الله معاملكم معاملة من يريد أن يختبركم ليظهر للعيان الصادق منكم والكاذب بنهر فمن ابتدأ شربه فليس من أشياعي ومن لم يذقه فإنه من أتباعي إلا من اغترف غرفة بيده والغرفة ما يغرف. فابتلوا به فشربوا إلا قليلاً منهم لم يفرطوا في الشرب بل اقتصرُوا على الغرفة باليد وكانت تكفيهم⁽¹⁴⁾.

وشرب أكثر الجنود من الماء ولم يلتزم وينجح بالاختبار إلا القليل فرجع الأكثرية، وسار طالوت بالأقلية إلى ميدان المعركة. ولما وصلوا وشاهدوا جنود جالوت الكثير وقيل بدء المعركة حين قسم من هذه الأقلية وانقسم جيش طالوت القليل إلى قسمين. قال تعالى (فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) .

أي: فلما جاوز النهر وتخطاه أي طالوت وجنوده المؤمنين قالوا لا قدرة لنا بمحاربة هؤلاء ومقاومتهم فضلاً عن الغلبة عليهم والقائل بعض المؤمنين لبعض وهو إظهار ضعف لما شاهدوا من الأعداء من الكثرة والشدة. فقال على سبيل التشجيع لذلك البعض الذي يتيقنون أنهم ملاقوا الله بالبعث والرجوع إلى ما عنده وهم الخالص من أولئك والأعلن إيماناً كم من فئة أي قطعة من الناس وجماعة قليلة قهرت عند المحاربة فئة كثيرة بالنسبة إليها بحكم الله وتيسيره⁽¹⁵⁾.

إن القوة الحقيقية هي قوة الإيمان والتوكل على الله لا قوة العدد والعداد ولذلك كثيراً ما تنتصر الفئة القليلة المؤمنة على الكثرة الكثيرة الكافرة، وقد شاهدنا ما حصل لأمريكا وحلفائها ذوي العدد والعدة والتكنولوجيا أمام الفئة المؤمنة القليلة في العراق وأفغانستان وفيتنام، وفي عدة أماكن أخرى حيث لمسنا معية الله للمؤمنين ونصره لعباده الصادقين.

وقبل نشوب القتال توجه المؤمنون إلى الله بالدعاء قال تعالى (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) .

أي: ظهر طالوت ومن معه وصاروا في براز من الأرض وهو ما انكشف منها واستوى، لمحاربة جالوت وجنوده، قالوا جميعاً بعد أن قويت قلوب الضعفاء متضرعين إلى الله تعالى متبرئين من الحول والقوة ربنا صب علينا صبراً ووفقنا له والمراد به حبس النفس للقتال وهب لنا كمال القوة والرسوخ عند المقارعة بحيث لا تتزلزل أقدامنا وانصرنا وأعنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم⁽¹⁶⁾.

وخاض طالوت وأتباعه القلائل المعركة وحاربوا جالوت وجنوده معتمدين على الله مستنصرين به، وأثناء المعركة برز داود من جيش طالوت وتوجه نحو قائد الكفار جالوت وقتلته وقتله، وبعد مقتل جالوت انهزم الأعداء وحُسمت المعركة لصالح القلة المؤمنة، ونصر الله طالوت والذين معه قال تعالى (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ...) .

أي: كسروهم وغلبوهم أي: استجاب الله تعالى دعاءهم فصبروا وثبتوا ونصروا فهزمهم بإرادة الله وقتل داود جالوت، وبعد وفاة طالوت أتى الله داود الملك في بني إسرائيل والحكمة وهي النبوة واجتمع في داود الملك والنبوة ولم تجتمع لأحد قبله⁽¹⁷⁾.

وهذا أول ذكر لداود وأول ظهور له، وهذا يدل على أن داود كان جندياً في جيش طالوت، وكان من القلة المؤمنة المجاهدة ولعل هذا كان قبل نبوته (عليه السلام).

ولم تذكر لنا الآيات كيفية انضمام داود إلى جيش طالوت، ولم تذكر لنا عمله قبل ذلك، كذلك لم يرد ذكر لهذه في الأحاديث الصحيحة، وقد فصلت الإسرائيليات كل هذه المبهمات، لكن منهجنا في البحث أن لا نلتفت إلى الإسرائيليات.

وقصة طالوت دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فبعد أن ذكر الله القصة ذكر (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) أي: أن هذا يدل على أن القرآن كلام الله وأن محمداً هو رسول الله، ووجه دلالتها على ذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم رجل أُمي لم يطلع على أخبار السابقين، ولم يتعلم عند أهل الكتاب، وأن تفاصيل قصة طالوت لا يعلمها إلا أهل الكتاب، وليس عند العرب علم بها فلو لم يكن محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً لما علم بها، فإيرادها في القرآن دليل على أن الله هو الذي أوحى له بها وأنه رسول أرسله الله سبحانه وتعالى⁽¹⁸⁾.

(14) يُنظر: تفسير الكريم الرحمن، 1/ 952.

(15) ينظر: تفسير السراج المنير، 1/ 137.

(16) ينظر: روح المعاني 2/ 777.

(17) ينظر: روح المعاني 2/ 778.

(18) القصص القرآني للخالدي، 3/ 398.

المبحث الثاني الآثار التربوية والاجتماعية لهذه القصة على الواقع المعاصر

المطلب الأول: الدروس والعبر من قصة طالوت

قصة طالوت مليئة بالآثار والدروس والعبر ففيها دروس في التربية الفردية والجماعية، ودروس في الحزم والامتحان ودروس في الجهاد وخوض المعارك، والتوكل على الله، وعدم الخوف والجبن من قوة الأعداء، وفيها دروس في اختيار الحكام والمسؤولين وغيرها من الدروس الكثيرة.

ولقد أشار سيد قطب الى أهم ما يؤخذ من القصة في تقديمه لها فقال: ((والعبرة الكلية التي تبرز من القصة كلها، وهي أن هذه الانتفاضة -انتفاضة العقيدة- على الرغم من كل ما اعتورها امام التجربة الواقعة فيمن نقص وضعف، ومن تخلي القوم عنها فوجاً بعد فوج في مراحل الطريق على الرغم من هذا كله، فإن ثبات حفنة قليلة من المؤمنين عليها قد حقق لبني إسرائيل نتائج ضخمة جداً، فقد كان فيها النصر والعز والتمكين بعد الهزيمة المنكرة والمهانة الفاضحة والتشريد الطويل والذل تحت أقدام المتسلطين...))⁽¹⁹⁾.

واستخلص سيد قطب (رحمه الله) من قصة طالوت دروساً في الإيمان والدعوة والتربية والجهاد، ومن هذه الدروس:

1. إن الحماسة الجماعية قد تخدم القادة لو أخذوا بمظهرها، فيجب أن يضعوها على محك التجربة، قبل أن يخوضوا بها المعركة الحاسمة.
2. إن اختبار الحماسة الظاهرة والانديفاع الغائر في نفوس الجماعات ينبغي أن لا يقف عند الابتلاء الأول، فقد تمت تصفية بني إسرائيل ثلاث مرات وخلصت خلاصة الخلاصة هم الذين صدقوا الله في الجهاد، فصدقهم الله وعده وأنزل عليهم نصره.
3. وفي ثانياً هذه التجربة تكمن عبر القيادة الصالحة الحازمة المؤمنة وكلها واضحة في قيادة طالوت، وتبرز فيها: خبرته بالنفوس، وعدم اغتراره بالحماسة الظاهرة، وعدم اكتفائه بالتجربة الأولى، وفصله للذين ضعفوا وتركهم وراءه والأهم عدم تخاذله وقد تضاعف جنده تجربة بعد تجربة.
4. إن القلب الذي يتصل بالله تتغير موازينه وتصوراتاه... فهذه الفئة المؤمنة الصغيرة التي تثبت وخاضت المعركة وتلقت النصر كانت تحسن أن ميزان القوى ليس في أيدي الكافرين إنما هو في يد الله وحده فطلبت منه النصر ونالته من اليد التي تملكه وتعطيه⁽²⁰⁾.

المطلب الثاني: السنن الاجتماعية في قصة طالوت

وقد استخلص السيد محمد رشيد رضا من قصة طالوت أهم السنن الاجتماعية في حياة الأمم والمجتمعات، ومن هذه السنن:

1. إن الأمم إذا اعتدي على استقلالها وأوقع الأعداء بها، فهضموا حقوقها تتنبه مشاعرها لدفع الضيم فتسعى للوحدة التي يمثلها الزعيم العادل.
2. إن شعور الأمة بوجوب حفظ حقوقها وصيانة استقلالها يكون موجوداً عند خاصتها وأهل الفكر والرأي فيها، فالملا من بني إسرائيل هم الذين طلبوا الملك.
3. متى عظم الشعور بوجوب حفظ حقوق الأمة ومحاربة أعدائها عند خواص الأمة، فإنه لا يلبث أن يسري إلى عامتها حتى إذا خرجت من طور الفكر والشعور الى طور العمل والظهور انكشف عجز الأعداء ولم ينفع إلا صدق الصادقين.
4. من شأن الأمم الاختلاف في اختيار الرئيس، والاختلاف مدعاة للتفرقة، فلا بد من مرجح ترضى به الأمم، كما طلبت بنو إسرائيل من نبيهم اختيار ملك لهم فكان هو المرجح، والمرجح عند المسلمين هم أهل الحل والعقد منهم.
5. إن الناس لا يتفقون على التقليد أو الإتياع فيما يرونه مخالفاً لمصلحتهم الاجتماعية، ولذلك اختلف بنو إسرائيل على نبيهم في جعل طالوت ملكاً عليهم.
6. إن الأمم في طور الجهل ترى أن أحق الناس بالملك والزعامة أصحاب الثروة والزعامة وأصحاب الثروة الواسعة كما في قول المنكرين على طالوت ((أنا يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال)) فهذا الاعتقاد من السنن العامة في الأمم الجاهلية.
7. هي ما أفاده قوله تعالى: {وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ}، فمشيئة الله سبحانه، إنما تنفذ بمقتضى سننه العامة في تغيير أحوال الأمم، بتغييرهم ما في أنفسهم، وفي سلب ملك الظالمين وإيراث الأرض للصالحين، وتأويل هذه الآيات وأمثالها مشاهد في كل زمان، وأين المبصرون.
8. إن طاعة الجنود للقائد في كل ما يأمر به وينهى عنه شرط في الظفر واستقامة الأمر.
9. إن الفئة القليلة قد تغلب بالصبر والثبات وطاعة القواد.
10. إن الإيمان بالله والتصديق بلفاقه من أعظم أسباب الصبر والثبات في مواقف الجلال والقتال.

(19) الظلال، 260/1.

(20) الظلال، 260/1-263.

11. إن التوجه إلى الله بالدعاء مفيد في القتال.
12. دفع الله الناس بعضهم ببعض من السنن العامة.
13. قوله تعالى: {لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} يؤيد السنة التي يعبر عنها علماء الاجتماع بالانتخاب الطبيعي، أو بقاء الأمثل ووجه ذلك جعل هذا من لوازم ما قبله، فإنه تحدث: ((إن ما فطر عليه الناس من مدافعة بعضهم بعضاً عن الحق والمصلحة هو المانع من فساد الأرض، أي: هو سبب بقاء الحق وبقاء الصلاح)) (21)210
- وتوفرت في طالوت بسطة العلم والجسم؛ لأن العمدة وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية، وجسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب وأقوى على كفاح الاعداء ومكابدة الحروب، وتقديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم إيماء الى ان الفضائل النفسانية أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانية. (22)22

الخاتمة

- الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا البحث وقد توصلنا الى عدة نتائج نذكر منها:
1. يعد القصص القرآني معين لا ينضب للدروس والعبر.
 2. اشتملت قصة طالوت على الكثير من الدروس التربوية والاجتماعية.
 3. إن طاعة الجنود للقائد في كل ما يأمر به وينهي عنه شرط في الظفر واستقامة الأمر.
 4. إن الفئة القليلة قد تغلب بالصبر والثبات وطاعة القواد.
 5. توافرت في طالوت بسطة العلم والجسم؛ لأن العمدة وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية، وجسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب وأقوى على كفاح الاعداء ومكابدة الحروب، وتقديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم إيماء الى ان الفضائل النفسانية أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانية.

(21) ينظر: تفسير المنار 2/ 492-493.

(22) ينظر: روح المعاني 2/ 771.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني الحسيني، (المتوفى: 1354هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، 2000م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، مطبعة بولاق القاهرة، 1285هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، 1414هـ.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعه 35، دار الشروق، 2005م
- القصص القرآني، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم دمشق
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.